

صفحات من الذاكرة

علي المرهون: أنا حفيد منقذ الجرحى يوم الصريف

■ إذا ماتت الحمارة كنا نموت من العطش

أجرى الحوار: جاسم عباس

«الرعي الأول في الكويت تخضرموا فترتي ما قبل النفط وما بعده، فقاوسا مر الائنتين وذاقوا حلاوتهما، عملوا وجاهدوا وتدرجوا، رجلا ونساء، الى ان حققوا الطموح او بعضا منه، ومهما اختلفت مهنتهم وظروفهم، الا ان قاسما مشتركا يجمعهم هو الحنين الى الايام الخوالي». «القيس» شاركت عددا من هؤلاء الافاضل والفاضلات في هذه الاستكاته.

■ مع القديم وللقديم حتى دشدشتي لم اغير طريقة خياطتها

■ نقلت الثلج بالمحالة لبيعه.. وأحفظه بالملح والتين ٣ أيام ولا يذوب

■ لأجل الماء توسلنا بالمهساري وحملناه على رؤوسنا



في مستهل لقائنا مع علي يوسف حسين المرهون قال: أنا حفيد من أنقذ الجرحى يوم الصريف في عهد الشيخ مبارك الصباح بعد المعركة الحامية قرب «القصيم» في عام ١٣١٨هـ. وكما قال لي جدي كان الكويتيون ينتظرون حقيقة المعركة، وكان خبرها مفاجئا، كنت اسمع العويل عندما رجعنا ومعى الجرحى، وقد عم الغم كل بيت، وكان عدد القتلى في جيش الشيخ مبارك حوالي ٨٠٠ مقاتل، وهناك مقولة لبعض المحاربين «مرهون حمل الجرحى حتى ما هو ربعه»، وقال: أنا ابن الغواص والقلاف، وابن من كرف الريسان في بحر الكويت. وياع السلسلة الواحدة والتي وزنها ٢٠ كغم بروبية أي ٧٥ فلسا.

بياع الثلج

قال المرهون: لم تكن تعرف الثلج في الماضي، كان يجلب من البصرة وتسميه «بفر»، وقبل ان تعرف الفلاحة والثلج كنا نبرد الماء بواسطة البرمة، وهو وعاء فخاري يتسع لحوالي خمسة غالونات، فيبرد الماء لوجود مسام في البرمة، وكذلك الحب وهو زير من الفخار، يوضع تحته إناء اسمه «الليان»، ليشرّب منه الدجاج، والحب هو الجرة الكبيرة، وكان الماء يوضع أيضاً في الغرشة وهي جرة صغيرة تصنع من الطين الجيري، وكذلك القربة لحفظ الماء.

وتذكر المرهون أول ماكينة لصناعة الثلج كانت للتاجر اليهودي «صالح محلب»، وموقعها على البحر وكان يزور عددا من باعة الثلج واصحاب المحلات، وهناك من جلب مثل هذه الماكينة

● علي يوسف المرهون

منهم: محمد حسين معرفي ومحمد الفوزان واحمد محمد الغانم جلب ماكينة في نهاية الثلاثينات حتى بداية الخمسينات، عمل هذا العمل.

واضاف: كنت اشتري قوالب الثلج من معمل الحمضي لبيع الثلج، والشريك معه في المصنع الشيخ ناصر صباح الناصر الصباح، وهذه الشركة اعطتني صندوقا كبيرا خشبيا مغطى من الداخل بصفائح من الحديد (الشيبتكو) وملحا وفحما وتينا حتى لا يذوب الثلج، وكنت اشتري من المعمل كل يوم ٢٠ قالبيا، واسحب القالب من الصندوق الى عربة التوزيع بواسطة محالة، وتبقى القوالب لمدة ٣ ايام دون ان تذوب بسبب المواد الحافظة في الصندوق، وكنت اوزع على المقاهي والمطاعم، وكان محلي في الدهلة، وهناك من ياتي ويأخذ الوقية بأربع اناث، ويضعه في مطارة معدنية مطاة بالليان، ومن ثم جاءت قارورة زجاجية مزودة بغلاف معدني ومحكمة بغطاء محكم كانت تستعمل لحفظ الثلج صيفا، اما الاسر الفقيرة فكانت تحفظ الثلج بالخيشة من المحل الى البيت ثم يكسر جزء منه ويوضع في البرمة او المطارة والبقية تحفظ في الخيشة ساعات طويلة.

وتذكر المرهون حادثة بالقرب من مصنع الحمضي، فقال: المسؤولون في المصنع كانوا، سلطان بو مساجد، ووسيد، ويعقوب النصر الله، يعملون ليلا ونهارا، ثم عين الغانم نسيبه (صهره) ابو ذاري مديرا للمصنع، فهؤلاء الثلاثة لم يوافقوا على تعيينه فقدموا استقالاتهم، فعملوا في بيع الاخشاب براسال من الشيخة موزي مبارك الصباح واعطيتهم عمارة على البحر عبارة عن بيت عربي بالقرب من عبادة الدكتور السوري، واخيرا عمل سلطان ابو ماجد في البلدية.

الطب الشعبي موجود

وتحدث عن الطب الشعبي فقال ان الاعتقاد كان سائدا والدلائل واضحة والنتائج مرضية بهذا العلاج التقليدي المكتسب من الخبرات المتوارثة.

واضاف: الاعشاب كانت متوافرة، ومجال العلاج بالكي والحجامة والتجبير يابد متخصصة موجود، والطار (الحواج) يعتبر مصدرا اساسيا للادوية، واكثر من يراجع الطبيب الشعبي هم من الشعبين ومن متوسطي العمر، وكما يقول المثل: «آخر الطب الكي»، وهذا من اقدم الممارسات التقليدية في علاج الامراض، وقال: نحن في الكويت مازلنا مع هذا الطبيب الشعبي، ولا ننسى القدماء منهم الذين عالجوا بالقران الكريم (العلاج الروحي) ومنهم من اشتهر بالختان، وعلينا ان نذكرهم كما قالوا لنا وشاهدناهم ومنهم: احمد الغانم، حمود الصانع، علي الفضالة، ابراهيم غريب، المنيفي، الماص، المرادي، مساعد

استرحنا عام ١٩٥٥ بإنشاء محطة تقطير في الشويخ

٣٠٠٠ من، وكانوا دائما يقولون عنه انه «يوم زين»، اشتراه تاجر من «خنج»، في ايران، وصنع القلاف راشد اليوم المسمى «دسمان» عوضا للاول، ومن مميزات دسمان انه لا يرسو طوال السنة يذهب اكثر من مطراشين.

وقال المرهون: منذ عام ١٩٠٦ حتى ١٩٥١ تم صنع اكثر من ٩٠٠ سفينة في الكويت على ايدي القلائف «صناع قلفوا وخرزوا الاطواح، لبناء السفن».

الأمثال

لم تكن نتحدث الا والمثل من خلال الكلام، لانه من المانورات الشعبية، وجاءت الامثال عبر تجارب عايشها الانسان ومن التجارب اليومية، وتعكس عادات الشعوب واخلاقها وتقاليدها، وفي نظر الكويتي هي الحكمة الناتجة عن التجربة، ويزخر المجتمع الكويتي بهذه الامثال، وعده منها المرهون «اخذ الاصيل ونام عالصير، يضرب في حسن اختيار الزوج، بنت الاكابر غالية ولو تكون جارية»، «بايع وامخلص، وبايعها ببصلة» يضرب فيمن سلم من هذه الحياة، ولم يعد بيالي. «رداه ولا طيب غيره» يضرب في ارتباط الزوجة بزوجها.

«القلب دكان والكل له مكان»، «بيع الردي بالخسارة واشتر الغالي»، «عاشر الاجاويد، تحصل منهم وتسفد». «جسم بغل وعقل عصفور»، «الطارش اروع من هله»، «مجنون تعرفه ولا عاقل تجهله»، «اذا دلق سهيل لا تامن السيل»، «اللي عنده الله ما يضيع»، «قلب المؤمن دليله»، «اللي بقلبه الصلاة ما تقوته»، «من عرف ربه هانت مصيبتة»، «اذهب من فلوس الغوص» يضرب في الصبر والتعامل عند الحاجة.

«إما طلع ولا طبع، يضرب في المخاطرة»، «البار على البيوار، البار تعني القوة، والبيوار جبل الصاري يضرب في القدرة والقوة».

أول ماكينة لتصنيع الثلج استوردتها اليهودي صالح محلب

العازمي، الهندي، وحجي رمضان بو شعبون حتى الفترة الاخيرة وبعضهم ما زالوا.

مشقة توفير المياه

اما الماء وكيفية الحصول عليه بوسائل متعددة وجود ومشقة فله قصة لا تنسى وكما قال الشاعر: «ليت هالنفط الغزير ينكذب ماء غدبر»، وقال بالم وحسرة وذكريات اليمه: «وصلنا البصرة وحملنا الماء من شط العرب، حفرنا الآبار وينينا بركا وسط الاحواش، وحفرنا سودا خارج السور، وجمعنا مياه المطار في «مشاش»، وشمائل، وكوت، وحتى حميرنا نقلت المياه الى بيوتنا، والابل على ظهورها قرب ونحن حفاة نسحبها، واخواننا الاعزاء الكنادرة الذين خدموا اهالي الكويت اوصلوا لنا الماء على اكتافهم».

وصلنا الشعب وحولي والنقرة لاجل قطرة ماء، وصنعنا فئاطيس لغرض الماء، وحتى المرأة الكويتية اصبحت سقاء تنقل الماء على رأسها، وشرينا وسبينا وطبخنا من الخباري، واويننا المنزلية غسلناها بماء البحر الذي نسميه «الخريج»، وملايسنا على رؤوس امهاتنا وزوجاتنا يغسلن في البحر وصابوننا رمل وطن وغسالتنا «مضاربة»، حتى المهاري توسلنا بهم بعد اضرابهم عن بيع الماء، كان في عام ١٩٥٥، استرحنا بعد هذه الصعوبات عندما انشأت الحكومة محطة تقطير المياه في الشويخ.

وقال المرهون: حتى الحمارة اذا تاخروا او ماتوا نحن نموت من العطش وهناك مثل كويتي قديم يقول: «ماتت الحمارة وانكطعت الزيارة واول سبيارة نقلت لنا المساء مسن الخباري والحفر كانت لاحد افراد عائلة «بوعباس».

سوق الماء

وقال: لفة الماء في بيوتنا كنا نذهب الى الحثارة الذين كانوا يتجمعون بالقرب من سوق ابن دعيج، والقرب مليئة بعياه الشط

او الآبار حتى سمي سوق الماء، كنت اشاهد الحمار حاملا قرب الماء بانتظار المشتري يقف ساعات واذا انتهى سحبه صاحبه الحمار إلى الشامية وحولي وكيفان والدمسة لنقل الماء إلى السوق ثانية، وهذا الماء كنا نسميه «عد»، وتذكر المرهون بيع الماء البارد الذي كان يعرضه في غراش صغيرة امام دكانه حول البرمة والحب، واكثر المشتريين المارة واصحاب المحلات، واكثر الباعة هم من الصبيان الذين كانوا ينقلون الغراش إلى المحلات وينادون «ماء بارد»، ونداء آخر باسم صاحب المحل، كان بعضهم يضرب إناء الماء بالأخر حتى يسمع من يريد الماء.

وقال: بركة بيتنا بناها الاستاد «عبدالله الكوح» المشهور بحفر البرك والآبار، وكان - رحمه الله - يغطي الاطراف الداخلية للحفر بصفائح من الحديد، وتذكر عمق بركتنا حوالي ٣ امتار، واما الآبار فقد تصل من ٥ إلى ٧ امتار.

وقال: سارتل يا ابوصحمد انا مع القديم وللقديم، وهذه دشدشتي لم اغير طريقة خياطتها بالخية القديمة.

ثنيان... النصف

وتذكر الحاج علي المرهون ان والده قام بإصلاح يوم ثنيان الغانم التاجر المشهور باستلاكه العديد من السفن الشراعية «السفر»، وبعض من سفن الغوص لمدة عشرة ايام مقابل كل يوم ١٠ روبيات، طلب مني والذي ان اذهب إليه لاستلم «اتعابه»، قال لي: لماذا والدك لا ياتي بنفسه؟ قلت له بخجل منك، والان هو جالس في قهوة جوتي على الفريضة، فطلب من المحاسب «خالد الغنيم» ان يسلمني مائة روبية، كان الغنيم - رحمه الله - يجمع مبالغ بيع الماء من بركة الغنيم، وفي يوم طلب منه الشيخ عبدالله السالم الصباح ان يوزع المبالغ على عمال الماء فقال للشيخ: يا طويل العمر يصير كثير فاجابه المغفور له «وزع وعطهم واذا شفت واحد مات ويريد ان ياخذ معه شيء تعال واخبرني».

كان - رحمه الله - قلبه على الرعية. وتذكر كذلك يوم النصف وهو من اكبر السفن التي صنعها الاستاذ راشد بن خليل، وقال المرهون: على ما اذكر كان يحمل